قضايا السرد وأبعاده في الأعمال الأدبية للكاتب أحمد رضا حوحو

Narrative issues and dimensions in the literary works of Ahmed Reda Houho

د/ نوال بومعزة*.

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي،

nawalboumaza12@gmail.com

تاريخ الاستلام: **2021.05.17**

تاريخ القبول: **2021.08.22**

تاريخ النشر: **2021.11.06**

Ex PROFESSO

المجلد06، عدد خاص، السنة 2021

ملخص تهدف هذه الدراسة إلى محاولة رصد أهم القضايا التي اضطلع بها السرد في نصوص الكاتب الجزائري أحمد رضا حوحو، الذي جاهد بقلمه ونفسه في سبيل نشر الوعي والثقافة، فتحوّلت نصوصه إلى رسائل مليئة بالأهداف السامية، بأسلوب سردي يهدف بالدرجة الأولى إلى تحقيق المنفعة والصلاح للفرد والمجتمع. وقد حاولت من خلال هذه الدراسة الإجابة عن الإشكالات المعرفية الآتية: ماهي أهم قضايا السرد التي احتوتها نصوص الكاتب أحمد رضا حوحو؟ وما خصوصية السرد في كتاباته؟ ولتحقيق القدر اليسير من التحليل استعنت بالقراءة الموضوعاتية في البحث عن القضايا والأبعاد في أعمال الكاتب مع توظيف منجزات السرديات الحديثة، خاصة في تحليل الشخصيات، وعرض خصائص البناء السردي.

الكلمات المفتاحيّة: قضايا، السرد، منفعة، الوعي، الكتابة.

Abstract

This study aims to try to monitor the most important issues carried out by the narrative in the texts of the Algerian writer Ahmed Reda Houho, who struggled with his pen and himself to spread awareness and culture, and his texts turned into messages full of lofty goals, in a narrative style aimed primarily at achieving benefit and good for the individual and society. Through this study, I tried to answer the following cognitive problems: What are the most important narrative issues contained in the texts of the writer Ahmed Reda Houho? What is the specificity of the narrative in his writings? To achieve a little analysis, I used thematic reading in the search for issues and dimensions in the author's work while employing the achievements of modern narratives, especially in character analysis, and presenting the specificity of narrative construction.

Keywords **:** Issues, narrative, utility, awareness, writing.

Url de la revue :
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/484

* - المؤلف المراسل.

مقدّمة:

تُدين القصة القصيرة الجزائرية في مسارات ارتحالاتها إلى أقلام مبدعين أسهموا من خلال منجزاتهم السردية في تطويرها، وبعث روح التجريب في تشكيلاتها الفنّية، وتحميلها هموم وقضايا الواقع الجزائري، الذي شهد تغيّرات متسارعة وجب على الكتاّب مواكبتها.

يُعدّ الكاتب الجزائري أحمد رضا حوحو من الكتاّب الجزائريين الأوائل الذين أخذوا على عاتقهم تسخير أقلامهم لخدمة قضايا المجتمع والوطن مُستغلّا فنون السرد (القصة القصيرة، الرواية) لتمرير خطابات اجتماعية وثقافية وفكرية كانت متغلغلة في المجتمع الجزائري إبّان الاحتلال الفرنسي للجزائر.

هذا ويُعدّ فنّ القصة القصيرة أسبق الأجناس ظهورا في الجزائر، اضطلعت بدورها بمهمة الجهاد الثقافي ضد الاستعمار الفرنسي، الذي عمل على اضطهاد اللغة العربية، إلاّ أنّ " اليقظة الفكرية التي جاءت تعبيرا عن موقف أحسّ فيه الشعب الجزائري بقومتيه، وعروبته، كان وراء انتشار فنّ القصة القصيرة، بالإضافة إلى عوامل فنّية وثقافية أخرى، ولو تتبّعنا مسار القصة القصيرة الجزائرية، سنجد أنّها مرّت بمرحلتين مهمتين هما:

- **المرحلة الأولى:** وكان رائدها أحمد رضا حوحو من خلال رائعة غادة أم القرى، ويشهد النقد أنّ أحمد رضا حوحو له الريادة في القصة القصيرة والرواية، والمسرحية المكتوبة باللغة العربية الفصحى، ففي مجال القصة القصيرة لا نجد قبله أعمال ينطبق عليها هذا المفهوم بالمعنى الحقيقي.
- **المرحلة الثانية:** اتّسمت بتطوّر فني ملحوظ على مستوى منجزات القصص القصيرة للكاتب أحمد رضا حوحو، وذلك من خلال المجموعة القصصية نماذج بشرية 1955.

ألّف الكاتب أبو القاسم سعد الله رواية السعفة الخضراء، ثم تتالت أقلام العديد من الكتاب الجزائريين من بينهم: عبد الحميد بن هدوقة، الطاهر وطار، عثمان سعدي، زهور ونيسي، أبو العيد دودو، محمد العابد الجيلالي وغيرهم.

لقد أسهم هؤلاء في تقديم القصة القصيرة الجزائرية إلى العالمين العربي والغربي؛ حيث كان لها الخصوصية والتميّز في تحقيق العديد من الأبعاد التداولية التي تجعلها فنّا ساميا مبتغاه الأول والأخير هو تقديم منفعة للوطن والأمة، وللوقوف عند أهمّ القضايا التي اضطلعت بها النصوص السردية لأحمد رضا حوحو لابد من استثمار آليات التحليل السردي وخاصة في مستواها التداولي للبحث عن أهم القضايا وتصنيفها، وماهي أهم الأهداف التي حقّقها السرد القصصي عل مستوى الفرد والمجتمع.

I. أعمال الكاتب أحمد رضا حوحو: بنية سردية في خدمة البنية الاجتماعية.

إنّ الغاية الأساسية للأدب هي تحقيق المنفعة على كل المستويات الجمالية والاجتماعية والثقافية والمعرفية، وقد أدرك الكاتب الجزائري إبان الاحتلال الفرنسي هذه القيمة وحوّل قلمه إلى سلاح يحارب مظاهر العنف والسلب والاضطهاد التي مارسها الاستعمار الفرنسي في حق الشعب الجزائري.

تتمتع النصوص السردية لأحمد رضا حوحو بالاتجاه المنفعي الذي يسخر من خلاله الكاتب قلمه إلى خدمة ومساعدة المجتمع، ومدّ جسر التفاعل بينه وبين قارئه، فالمعروف أنّ الكتّاب يتحسّسون تجاربهم وتجارب غيرهم، والكاتب حينما يكتب يفكر بقارئ معين أو يتخيل قارئا نموذجيا معينا، ويحدّد معنى نصه طبقا لهذا القارئ بالذات، " فكلما تمكّن الروائي من ثقافة متينة وعميقة في إنشاء الرواية، تراه يتّخذ له أبعادا علاقاتية دقيقة تربط بينه وبين سارده وقارئه من وجهة ثانية، ثم بينه هو وبين سارده وقارئه جملة، وشخصيات الرواية مجتمعة من جهة أخرى."[1]

لقد أخذ الكاتب أحمد رضا حوحو هذه العلاقة بعين الاعتبار والاهتمام، فصبّ جلّ جهده على توجيه نصوصه السردية الأدبية إلى بؤر الأمراض الاجتماعية والثقافية والفكرية التي تنخر المجتمع الجزائري إبان الاستعمار، بل وامتدت أفكاره إلى طرح قضايا من المجتمع العربية بصفة عامة، وبالتالي أثّر النص السردي لأحمد رضا حوحو في المتلقّي الجزائري والعربي على السواء.

من خلال طرحه لقضايا المجتمع بطريقة سردية لها من الخصوصية ما يحقق تلك الصلة الوثيقة بين الكاتب وقرائه، " فالقراءة الموضوعية تحقق فعلها عبر الحيرة التي يثيرها لقاء النص بالقارئ والبهجة التي تتلو الفهم أو تتعانق معه، وفيما بين الحيرة والبهجة يقيم وعي القارئ قصدية فعّالة بالعالم المتخيّل الذي يشيده النص؛ حيث يصبح كل ما يهمّ القارئ في هذه اللحظة الخارقـة، أن يعيش نوعا من الاندماج الكلّي بالنص..."[2]

لقد تميّز السرد في نصوص أحمد رضا حوحو بأنه سرد يمتلك وعيا جماليا ينتقل بموجبه القارئ إلى تحليل النص السردي وكمحاورته نقديا وكشف مضمراته وملء فراغاته وتفكيك أنساقه وتقديم خطاباته، وسنعرض فيما يلي أهم قضايا السرد في أعمال الكاتب مراعين في ذلك التسلسل التاريخي لصدور الأعمال الإبداعية.

1. السرد وهموم الذات في غادة أم القرى.

تجدر الإشارة إلى أنّ هذا العمل الإبداعي ألّفه أحمد رضا حوحو، وهو في بلاد الحجاز عندما انتقل للعيش مع والديه 1934، وقد اختلف النقد في تصنيف هذا العمل هل هي قصة طويلة أم رواية؛ حيث أنها نشرت في كتاب مستقل.

وقد التفت أحمد رضا حوحو في هذا المنجز السردي إلى هموم المرأة العربية بصفة عامة، وإن كان حديثه في الرواية عن المرأة في الحجاز بصفة خاصة. وبالرغم من الطابع التخيلي للسرد في الرواية إلاّ أنّ المشروع الأكبر هو ضرورة الوعي بموضوع المرأة وما نتعرّض له من تصنيفات تُعيق مشاريعها وأحلامها، فشخصية زكية في الرواية ماهي إلاّ نموذجا لنساء عربيات يعشن الوضع ذاته. وضع محفوف بالمخاطر التي تهين المرأة، وتجعلها حبيسة عادات وتقاليد موروثة معاناة لم تنحصر في شخصية زكية، فقط، بل نجد أم جميل رمز الأم الحزينة التي تفكر دائما بابنها المسجون ظلما، كيف لهذه المخلوقة اللطيفة حمل هذا العبء الثقيل، جهاد نفسي شاق تتقاسمه حبيبة في انتظار خطيبها، وأم تصارع من أجل خروج ابنها من السجن، ووسط هذه الأجواء ينشأ حب كبير لم يكسره كيد الحاقدين. لقد فضّل أحمد رضا حوحو أن يضع نهاية تبدو مأساوية كنهاية للسرد، لكن في باطنها إعلان قوي عن حجم القضية المطروحة والمآلات الوخيمة التي تنتظر المجتمع إن لم يهتم بهذه القضية الحساسة. لقد سخّر أحمد رضا السرد كطريقة لعرض هذه الناحية من الحياة، وحوّله إلى بديل معرفي لعرض العديد من الإشكاليات، وهذا بالضبط ما تضطلع به وظيفة السرد في الرواية " إنّ ما يدعى المادة الصالحة للرواية شيء لا وجود له، فكل شيء يصلح لأن يكون مادة للرواية، كل إحساس، كل فكرة، كل صنعة للفعل والروح ويمكن أن يصبح موضوعا للرواية، وما من إدراك لا يمكن استخدامه"[3]

لقد تغلغل الكاتب في الجوانب الذاتية للمرأة، ونقل السرد تفاصيل دقيقة هامة من يومياتها، نقرأ:" وها هي اليوم بلغت الثامنة عشر من عمرها فحجزوها بين جدران الدار ومنعوها من الظهور أمام جميل أو التحدث إليه منذ عدة سنوات ".[4]

يتعمّق الكاتب في هموم الذات الأنثوية بطريقة سردية تعتمد سرد الراوي العالم بكل شيء:

" واستولت عليها نوبة نفسية مبرحة، وأخذت ترتجف وتضاربت في نفسها قوّتان جبّارتان: الحب وتقاليد الأسرة، فهذه الأخيرة تحثها على التظاهر بعدم المبالاة وعدم الاكتراث والمحافظة على شرف الأسرة، والحب الذي حطّم قلبها وتركه يتفجر أسى وآلاما يتطلب الثورة. والنصيب وهذه الدموع المتحجّرة التي تحرق مقلتيها وتثقلهما تطلب التحقيق."[5]

ّ الأسلوب البسيط في الطرح ما هو إلاّ طريقة ممنهجة من الكاتب لإيصال فكرته من أقرب مرمى، وعيا بالمستوى الثقافي للمجتمع العربي الذي يعيش الجهل وطغيان العادات والتقاليد المُجحفة في حق المرأة، التي لم تكن ممثلة في زكية فقط، بل مثّلت أم جميل المرأة العربية الصبورة والشجاعة التي عانت مرارة الفقد، فقد الابن المُعيل للأسرة:" كان هناك مخلوق آخر لا يقل حُزنًا وألما عن زكية وما ذلك المخلوق إلاّ والدة جميل التي كاد أن يقتلها النبأ ويقضي عليها..."[6]

احتضن السرد في رواية غادة أم القرى هموم نساء تكرّر وضعهن في العديد من الدول العربية آنذاك، فالسرد يلتقط قضايا الإنسان، ويُجسّد النموذج الذي يُمكن إسقاطه على كل امرأة عربية عاشت الظروف ذاتها، " فالعالم الحديث الذي هجرته الفلسفة، والمجزأ إلى مئات التخصصات العلمية، تظل الرواية مرصدا أخيرا لنا يمكننا منه احتضان الحياة الإنسانية باعتبارها كلا. "[7]تعمل البنية السردية للرواية منذ بدايتها على نقل هذه المعاناة بتوظيف النصوص الموازية التي تُسهم في التمهيد للأحداث في الرواية.

2. خصوصية النص الموازي في رواية غادة أم القرى.

يستعين الكاتب أحمد رضا حوحو في سبيل إيصال أفكاره إلى القارئ بعتبات نصية، تحاول إضاءة قضايا المتن الحكائي من البداية، حيث تتموقع أشكال عديدة للتصديرات النصية، والتي من شأنها أن تلفت انتباه القارئ، وتمكنّه من الولوج في النص وتمنحه فكرة أولية وفرصة للتعرف عليه، فهي أول تواصل بين القارئ والمؤلف وأول لقاء يجمعهما، فالنصوص الموازية بمثابة عتبة المنزل التي لابد منها، فهي التي " تربط الداخل بالخارج، وتوطأ عند الدخول، المكان الذي لا غنى عنه للداخل إلى المنزل، في حين لا يمكن لذلك الداخل أن يطأ كل جوانبه حتى يثبت دخوله فيه "[8] ويضمّ النص الموازي العديد من الأشكال النصية، فهو " مجموع النصوص التي تحفر المتن وتحيط به من عناوين وأسماء المؤلفين، الإهداءات، والمقدمات والخاتمات والفهارس والحواشي، وكل بيانات النشر التي توجد على صفحة غلاف الكتاب وعلى ظهره " [9].

حقّقت النصوص الموازية في رواية غادة أم القرى جانبا مهما في التمهيد للموضوع، وحملت في طيّاتها العديد من التساؤلات لمن وُجّهت بالضبط؟ يدرك الكاتب – جيدا - أنّ النص التخييلي " ضرب من الاستعارة القصوى، فدلالته تتجاوز الملحوظ ذاته، وترتكز على مواضعات مضمرة خاصة، وعلى عقد واقع بين الكاتب والقارئ. إنها طريقة مخصوصة في اللعب مع العلامة "[10]

افتتح الكاتب الرواية بإهداء يتجاوز من خلاله حدود النص للحديث عن المرأة الجزائرية التي تذكرها وهو في بلاد الحجاز، نقرأ:" إلى تلك التي تعيش محرومة من نعمة الحب.. من نعمة

العلم ومن نعمة الحرية. إلى تلك المخلوقة البائسة المهملة في هذا الوجود إلى المرأة الجزائرية أقدّم هذه القصة تعزية وسلوى.

قسنطينة 1-1-147

أحمد رضا حوحو [11]

تظهر علاقة الكاتب بوطنه جليّة من خلال هذا الإهداء الذي استحضر من خلاله المرأة الجزائرية بكل تجلّيات البؤس والحرمان، وقد فعل بها الاستعمار الفرنسي ما فعل من مظاهر السلب وتكريس الجهل ومحو الهوية، فهي المحرومة من نعم الله الثلاث: الحب / العلم / الحرية، فالرواية هدية من الكاتب لتحقيق منفعتين:

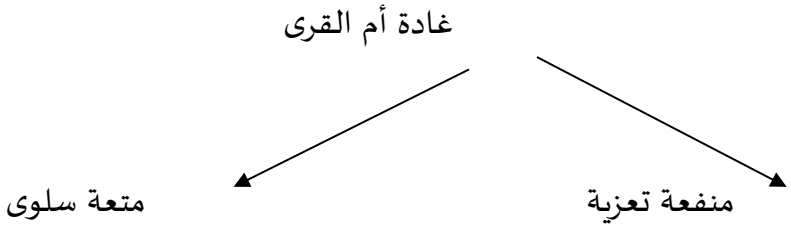

وقد تلى الإهداء عتبة نصية، نصها:" إني لم أحاول أن أدافع أو أن أهاجم، وإنما حاولت جهدي أن أتقن الرسم وأضيئ جيدا معالم الصورة "[12]

تعود هذه المقولة للكاتب أندريه جيد؛ حيث استلهم عبارات القوّة والجهاد وقول الحق في قضايا المجتمع العربي عامة والمجتمع خاصة.

تكمن أهمية هذه العتبات النصية ولاسيما الإهداء في تحويل " الكتابة الإبداعية إلى ممرّ وسيط بين الأنا والهو، وذلك في إطار ميثاق تواصلي بين الأنا والغير، قائم على المحبة والصداقة أو العلاقة الحميمية الوجدانية المشتركة، أو على تبادل القيم الفنّية والرمزية نفسها التي يجسّدها العمل الأدبي "[13]. تعمل -إذن- هذه المقاطع السردية على العديد من الوظائف التأثرية والدلالية والإيحائية التي من شأنها أن تستدرج القارئ إلى عوالم النص الخفية والمضمرة..

II. قضايا السرد الساخر في مؤلف مع حمار الحكيم.

عندما يقرّر الكاتب خوض مغامرة الكتابة، فهو يبحث عن كتابة متميّزة تمكنه من تحقيق قدر أكبر من القراءة والنقد، لذلك اتجه العديد منهم إلى الكتابة الأدبية الساخرة، شعرا ونثرا، فالسخرية ليست هدفا بقدر ماهي تعبير عن الآلام والأحلام ونقل اليومي.

إنّ المتتبّع للقصة القصيرة عند الكاتب أحمد رضا حوحو يجدها قد تلوّنت ببعض من أساليب السخرية والتهكّم، وهذا ظاهر على مستوى البنيتين الشكلية والموضوعاتية، فالكاتب يدرك

أهمية فنّ السخرية كطريقة سردية لنقل قضايا المجتمع، فهي فنّ من الفنون الأدبية التي سجلت حضورا قويا في السرد القديم والحديث، فالسخرية أسلوب كتابة يتميّز بالرؤية والتحليل المعمّق للواقع المعيش.

يخوض المتن الحكائي لقصص مع حمار الحكيم في قضايا ومجالات عديدة، تعكس الثقافة الواسعة للكاتب أحمد رضا حوحو، وكيف حلّل تلك القضايا بطريقة سردية متميّزة في ظل معطيات استعمارية ظالمة لا تسمح للمبدع بالاستمرار إلاّ إذا كان شخصا متحدّيا للظروف مثل أحمد رضا حوحو. رغم الطابع الرمزي لقصص مع حمار الحكيم والذي تجلّى من خلال توظيف شخصية الحمار الذي كسّر القاعدة الواقعية، وهي أنّ الحمار يرمز دائما للغباء والجهل.

تحوّلت الصورة إلى متخيّلة، فيظهر لنا حمار ذكي مثقف عالم بالقضايا الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية للمجتمع. أمّا جمالية السرد فبرزت من خلال اللقاء الجمالي الذي جمع السرد بالحوار، فتكوّنت قصص متخيلة تتماهى مع قضايا الواقع الذي يحضر بقوة بأسلوب مباشر عندما يوجّه الخطاب إلى الكاتب من المحاور المطروحة في القصص:

1- محـور المـرأة.

نال هذا الموضوع اهتمام الكاتب، وبثّ من خلال إجابته عن أسئلة الحمار، لذلك كان دقيقا في اختيار عباراته، و "لذا يجب على المؤلف أن يكون متيقّظا، ولا يسمح بأيّة كلمة لا يكون لها دورها في عرض الأحداث، أو تصوير الشخصيات، مُدركا أنّ الإيجاز في استعمال الكلمات هو أساس القوة في الحوار"[14]. يتوسّل أحمد رضا حوحو في حديثه عن المرأة اللغة السردية الهادفة التي تحاول تجاوز التقريرية نظرا لطبيعة الطرح، وهو الحديث عن قضايا المرأة، نقرأ: " لدينا آلات للنسل نحتفظ بها في بيوتنا "[15] واجه أحمد رضا حوحو هذه القضية بكل عبارات الحزم والجدّية، " فكل موقف يتطلّب حوارا خاصا عن غيره من المواقف، فهناك مواقف تتطلّب جملا قوية قصيرة كالمواقف الجادة والحازمة ذات القرارات المؤثرة في الحدث وتغيراته.. "[16] وفي معرض آخر من القصة قدّم الكاتب قضية المرأة وربطها برابطة الزواج، بل وتغلغل في قضايا العلاقات بين الرجل والمرأة، بنظرة ثاقبة ورزينة كنظرته في قضية الزواج من الغرباء والأجانب، والعلاقات الاجتماعية والنفسية التي تربط الرجل بالمرأة، نقرأ :" إنّ المرأة مع أنانيتها تشعر بضعف طبيعي غريزي فيها، فهي من الناحية النفسانية ترتاح إلى الرجل القوي الذي يبسط عليها سلطانه العارم ويتسلّط عليها، فتستكين إليه لأنها تشعر بحمايته ورعايته، فهي تريده ضعيفا، وتبغض ضعفه، فهي تجد متعة في التغلب عليه لكنها تجد حسرة في استسلامه إليها، لأنّ بهذا الاستسلام ينهار في قلبها ذلك الحصن الذي كانت تتمتّع بحمايته وترتاح إلى قوته وجبروته "[17].

تحليل نفسي دقيق يعكس عمق التجربة في دراسة العلاقات بين الرجل والمرأة، وقد استثمر أحمد رضا حوحو العلاقة القوية التي تربط الأدب بالتحليل النفسي، فغاص في العلاقات وأبحر في عوالم المرأة ومشاعرها، " وإذا كان التحليل النفسي هو العلاج بالكلام، فإنّ اللغة والسرد هما الأساسيات التي يقوم عليها، بمعنى أنّ التحليل النفسي هو تسريد نقوم بواسطته بحكي وشرح أفعالنا "[18].

2- محور الآداب والفنون والنقد.

لم تمرّ هذه المحاور على فكر الكاتب مرور الكرام، بل استفاض وحلّل بشكل دقيق هموم الأدباء والفنانين وقدّم آراء حول النقد والأدب عموما، وبالرغم من حضور السرد والحوار في قصص حمار الحكيم إلاّ أنّ الكاتب أحمد رضا حوحو من خلال هذه المحاور المطروحة يظهر مفكرا أكثر منه كاتبا، " فيحلو للأديب أن يكون مفكّرا، والمفكر قد لا يكون أديبا، وفي كلتا الحالتين يظهر الأدب والفكر في معية واحدة وفي صف واحد.

إذن، فالأدب - كما هو معلوم- الأخذ من كل علم بطرف والفكر هو الذي يحرك في المثقف عقله وذهنه، ومن ثمّ فالمفكر أديب ومثقف حتى يصل إلى درجة الفيلسوف، هذا إذا كان لهذا المفكر موهبة أدبية أو شاعرية "[19]. ومهما بلغ السرد القصصي في هذا العمل من تقريرية ومباشرة، ففي الأخير" فإنّ المضامين الناضجة تبدو جديدة كل الجدّة بالرغم من أنها مستوحاة من أفكار ومضامين العامل الفكري.. فالأديب الواعي هو الذي يجسد هذا التفاعل بين هذه الأفكار والمضامين وبين تطورات العصر الذي يعيشه.."[20] إنّ نشر الوعي بمجالات الثقافة التي من بينها الأدب والفن والنقد مهمة اضطلع بها الخطاب السردي لأحمد رضا حوحو، " فالآداب والفنون هي عنوان النهوض والرقي لكل أمة والمظهر الروحي لكل شعب، ولهذا أسّست الأمم الحيّة الكليات للآداب والمعاهد للفنون أخرجت نوابغ لا تزال أسماؤهم متألقة في سماء التاريخ "[21]. لقد ربط الكاتب الحياة بالعلم وما أحوج الجزائر وشعبها للحديث عن هذا الموضوع في ظل استعمار مارس كل أساليب القوة ونشر الجهل وسلب الهوية، لذلك ضحى الكاتب بالنفس والنفيس في سبيل تحرير أفكاره، وإرسالها شعاع أمل إلى النفوس الجزائرية التوّاقة للحرية.

تميل المقاطع السردية في كتاب مع حمار الحكيم إلى الميل للمزاوجة بين الفكر والأدب، " فبين الأدب والفكر علاقة وطيدة خاصة إذا علمنا أن الموضوعات الأدبية يجسّدها الفكر ويقيم عليها كونا من المعاني والأفكار، الشيء الذي يعطي الموضوع الأدبي فكرا ثقافيا وموضوعا فنّيا يمشي في دروبها العمل الأدبي أو العمل الفنّي نحو المتلقي الذي إذا لقي مثل هذا العمل الأدبي القوي الأخّاذ أن يستفيد منه فكريا وثقافيا وأدبيا.. "[22]

3- محور السياسة والحريات.

تُعدّ النصوص الأدبية ممرّا ممتازا لتمرير الخطابات والإيديولوجيات ووجهات النظر السياسية، وقد استغل أحمد رضا حوحو هذه الفرصة، وبثّ العديد من الأفكار والتوجهات التي كانت ولا تزال مطروحة على الصعيدين الأدبي والسياسي، " ويصبح الأديب رجل سياسة، ولكن بطريقته الخاصة، وأدواته الخاصة، ولقد لخّص نجيب محفوظ هذا الموقف في عبارة بليغة، قال فيها :" ليس هناك حدث فنّي، بل حدث سياسي في ثوب فنّي " [23] من هذا المنطلق طرح الكاتب أحمد رضا حوحو قضاياه السياسية، من خلال الترحال إلى عالم الحرية وفلسفة التحرّر والعدالة والإنسانية، نقرأ :" نرى الديمقراطية المزيّفة والحقوق المغتصبة، والمظالم الفظيعة في هذا القرن الذي يسمى كذبا وزورا عصر الحرية والنور، وما هو إلاّ عصر الظلم والطغيان، عصر الخداع والنفاق "[24]. يسترسل السرد في قصص مع حمار الحكيم حاملا معه هموم كاتب مثقف يدرك ثقل المهمة الملقاة، وبين جفاف المادة السياسية، وحيوية السرد القصصي يمزج أحمد رضا حوحو المادتين لتشكيل متتاليات سردية واضحة الهدف للقارئ في صورة قصة تثير عواطفه وتوجّه فكره، نقرا في الكتاب " نرى إنسانا حُرم الحرّية بأنواعها يختنق من شدّة الضغط، لا يكاد يتنفس، وآخر أعطى الحرية مضاعفة حتى وصلت إلى حدّ الفوضى والعبث بمصالح الأبرياء، هذا شخص مُلقى على قارعة الطريق يتضوّر جوعا في أسماله البالية يجلده البرد بسياطه المؤلمة، وينهكه المرض.. يمرّ به المتخمون من شدة ألوان الأطعمة، وهم في ملابسهم الصوفية الدافئة، فلا يرونه ولا يلفت أنظارهم، لكنه لا يخفى على نظر البوليس الذي يحاول أن يطهّر منه الشارع، فيأخذ في مطاردته من مكان إلى مكان، كأنه ليس من حقه البقاء على وجه هذه التربة التي خلق منها وفيها."[25] نظرة ثاقبة من الكاتب تعكس لنا طريقته السردية المتميزة في نقل مفهوم الحرية الشائك والمعقّد.

فمعاناة الشخصية المذكورة في القصة ما هي إلاّ معاناة شعوب فقدت احساس الحياة بسبب استعمار غاشم حاصر شعب بأكمله وانتزع منه الرغبة في حياة كريمة، فالحياة ماهي إلاّ احساس بالحرية. لقد تجوّل أحمد رضا حوحو سرده إلى وعاء حيوي يدفع بهذه القضية إلى المتلقّي. لطالما أخلته كتب الفكر والسياسة في متاهة المفاهيم والأفكار، فأسلوبه سردي مباشر يعتمد الجانب المتخيل الذي يتماهى بشكل مباشر مع الواقعي المعيش.

4- سـرد الظواهر الاجتماعية في قصص نماذج بشرية.

نشر المنجز السردي المتمثل في المجموعة القصصية نماذج بشرية لأحمد رضا حوحو سنة 1959، وهو يعبر بالفعل على مرحلة نضج وأدبي وفكري عاليين للكاتب، ونماذج بشرية هي

المجموعة القصصية التي استسقى أحمد رضا حوحو قضاياها من الواقع، فكانت نقدا اجتماعيا للعديد من الظواهر المتفشّية فيه آنذاك، مستعيناً بالشكل القصصي المعروف ولعلّ هدفه السامي من هذه القصص يبرز قوله:" يجب أن تتكلّم كلاما صادقا وأن تفكر تفكيرا صائبا دون أن نحاول جلب الآخرين إلى أذواقنا وعواطفنا إنّ ذلك لهو العمل الجليل "[26].

لقد عمد أحمد رضا حوحو إلى عرض الحقائق الكامنة وراء أقنعة الناس المزيفة، من خلال تصويره لسلوك شخصيات عدّها نموذجا عن كل فئة من فئات المجتمع الجزائري آنذاك. يوظّف الكاتب من أجل إيصال هذا الوصف الأدوات السردية اللازمة من عناوين وشخصيات وأزمنة وأمكنة، فكانت قصصا قصيرة حملت العناوين الآتية:

الشيخ زروق /عائشة /العصامي /العم نتشيش /السكير /رجل من الناس/فقاقيع الأدب /الأستاذ /سيدي الحاج/يحي الضيف /سي زعرور /التلميذ.

عناوين قصيرة مباشرة، لا تحتاج الوقوف مُطوّلا، مستقاة من أسماء أعلام جزائرية من الطبقتين المثقّفة والعامة. لقد حوّل أحمد رضا حوحو سرده إلى نقد اجتماعي وثقافي بالدرجة الأولى، فالشيخ زروق يبدو من خلال مظهره الخارجي رجلا تقيّا ورعا، وهو في الحقيقة زنديق يتاجر بالدين، أمّا نموذج سيدي الحاج فلا يختلف كثيرا عن سابقه في اتخاذ الدين لباسا يخدع من خلاله الناس، حيث أنّه اشترى لقب الحاج من أجل الشهرة فقط، ولم ينس الكاتب المرأة التي تحضر ثيمة رئيسية في مجمل أعماله.

تعمّق الكاتب في هذه القصة إلى قرى الجزائر الريفية، فنقل هموم المرأة؛ حيث كانت منبوذة تعيش التهميش والجهل، إنها عائشة الريف الجزائري معاناة في ظل أسرة مغتصبة، ومحتل مغتصب، لم تعرف طريق العلم والثقافة، " كل ما تعرفه عائشة ومثيلاتها أنها مجرد عورة يستحي الرجال ذكر أسمائهن إن اضطروا إلى ذلك أقرنوهم بكلمة اعتذار، كما أنها لا تتجرّأ على فعل شيء إلاّ بأمر من ذويها فشبهها الكاتب بالدولاب " دولاب بشرى تُديره يدُ ذويها فلا تتحرّك ولا تسكن إلاّ بإرادتهم ووفقا لرغباتهم "[27]. تتحرّك قضية تعليم المرأة في بنية سردية دقيقة العنونة، فاسم عائشة اسم علم معرفة دال على الأنوثة ومن بين أكثر الأسماء تداولا في المجتمعات العربية بصفة عامة، وفي الريف الجزائري بصفة خاصة، والاسم يحمل دلالة دينية وتاريخية مصدرها القوة والتحدي والتفاؤل، لذلك اختار الكاتب عائشة بطلة قصته، فهي الشخصية الرئيسية ، يصطفيها القاص لتمثيل ما أراد تصويره أو ما أراد التعبيرعنه من أفكار، وأحاسيس وتتمتع الشخصية الفنّية المحكم بنائها بالاستقلالية في الرأي وحرية الحركة داخل مجال النص، فالنص القصصي من أبرز وظائفها تجسيد معنى الحدث القصصي. نقلت عائشة هموم شريحة اجتماعية مهمشة يتشكل منها الواقع الذي صوّرته لنا الشخصية الرمزية

بأسلوب نقدي؛ حيث نقلته لنا بكل تعقيداته وأزماته سواء أكانت هذه الأزمات انبهارا من حرية وثقافة الطرف الآخر أم كانت نابعة من تجارب مريرة عاشتها الشخصية وارتسمت لنا من خلالها الملامح العامة للشخصية الهامشية في القصة الجزائرية.

لقد اعتنى أحمد رضا حوحو بتصوير الشخصيات تصويرا واقعيا دقيقا نابضا بالحياة، تجلّت فيها روح السخرية والتصوير الكاريكاتوري المضحك، أعلنتها بشكل مباشر تقنيتا الوصف والحوار خاصة في قصة الشيخ زروق، نقرأ :" تربّع الشيخ زرّوق على سجادته بعد أن قام ببعض الصلوات، وما كاد يستقر به المقام حتى تقدّم نحوه شاب في ربيع الحياة، فأسرع الشيخ في إخفاء تلك الرّزمة من الأوراق في جيب مُحكم وقام يستعدّ لصلاة الظهر، وهو يتذكّر ما بقي لديه من المعاملات، ويقدّر في نفس الوقت ما ستُدرّ عليه من الأرباح"،[28] كشفت من خلال هذا المقطع السردي حقيقة الشيخ المزيفة، وهو يقوم بأنشطة مشبوهة.

هذا ولم يخل أدب أحمد رضا حوحو من ظاهرة الاقتباس، فنجده يُصرّح بأنّه اقتبس شخصية سي عزوز من الأدب الفرنسي، حيث وجد فيها نموذجا حيّا يصلح لكل زمان ومكان، والقصة تنتمي إلى الطابع الاجتماعي، حاول من خلال الكاتب تصوير بعض الظواهر المنتشرة في المدارس، وكيف يتحوّل رجال العلم عن مهنتهم الشريفة، ويتنازلون عن المبادئ والقيم والأخلاق في سبيل الحصول على المناصب العليا التي توفر لهم المال الوفير.

خاتمة

إذن، ومن خلال ما سبق يمكن أن نستنتج:

- سرد الكاتب أحمد رضا حوحو متنوّع وثريّ، حدّد من خلاله الكاتب هدفه من الكتابة، ورفعها إلى أهداف سامية راقية، تخدم الفرد والمجتمع الجزائري، وتتعدّاه إلى الحديث عن قضايا الأمة العربية في جوانبها الفكرية والاجتماعية والثقافية والسياسية،
- حقق فعل السرد وظيفة الفائدة فأعمال قيمة مضافة للأدب الجزائري الذي كان ولا يزال يحمل قضايا واقعه المعيش.
- حقّقت أعمال أحمد رضا حوحو تفرّدا وتميّزا من خلال المباشرة في طرح الموضوع، فقيمة السرد ليست في متخيّله، أو القدرة على استعراض أساليب القول، وإنّما أيضا تتحقّق خصوصيته وجماليته في إصابة المعنى من أقرب مرمى، فالمعطيات التي أُتيحت آنذاك تفرض على الكاتب اللّجوء إلى السرد كوعاء لطرح القضايا، واستعارة الأمثلة والنماذج التي تعكس فئات عديدة من المجتمع، فحلّل أحمد رضا حوحو ودقّق ومحّص، ونقد، وأبدع في الأخير، وأخرج أعمالا سردية، تستحق الوقوف، والإمعان في رسائلها التي ستظل تصل إلى الأجيال.

- وفي هذا السياق أقترح أن نعود في كل مرة إلى نصوص الأدب الجزائري قبل وبع الثورة الجزائرية، ونهتم بتحليله وإعادة قراءته من جديد، لكي نمّكن نصوصه من إعادة الإحياء، فهي الوحيدة القادرة على كشف طريقة تفكير الكتاب الجزائريين آنذاك، وكيف كانوا ينظرون لقضايا واقعهم ونقله بأسلوب أدبي متخيّل ممتع وهادف.

---

[1]- مرتاض عبد الله، دسيمبر1998، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، عدد 240، ص 237.

[2]- روابنية الطاهر، 1999، القراءة الموضوعاتية للنص الأدبي، مجلة التبين، العدد 14، ص 74 – 75.

[3]- هنري جيمس وآخرون،1971، نظرية الرواية في الأدب الإنجليزي الحديث، ترجمة وتقديم أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، ص172.

[4]-حوحو أحمد رضا، 2007، غادة أم القرى، الأنيس السلسلة الأدبية، وزارة الثقافة، الجزائر العاصمة، ص 19.

[5]- م ن، ص 42.

[6]-م ن، ص 44.

[7]- ميلان كونديرا،2006، الستارة، ترجمة: معن عاقل، ط1، وردة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ص 72.

[8]- العدواني معجب، 2002، تشكيل المكان وظلال العتبات، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جدة السعودية، ص 7.

[9]- بلال عبد الرزاق،2000، مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم د ط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ص 21.

[10]- بلانشيهفليب،2007، التداولية من أوستين إلى غو فمان، ترجمة صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا اللاذقية، ص 194.

[11]- حوحو أحمد رضا، غادة أم القرى، الإهداء.

[12]- م ن، المقدمة.

[13]- حمداوي جميل، عتبة الإهداء السبت 15 أيول سبتمبر 2012،www.diwanalarab.com

[14]- إجريلاجوس،دت، فنّ الكتابة المسرحية، ترجمة دريني خشبة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ص 10.

[15]- حوحوأحمد رضا، 1982، حمار الحكيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ص 18.

[16]- مورجان تشارلس، 1964، الكاتب وعالمه، ترجمة: د شكري محمد عياد، دار المعارف القاهرة، ص 268.

[17]- المرجع نفسه، ص 50.

[18]- أبو رحمة أماني، التحليل النفسي والأدب والثقافة: مقاربة منهجية ،9 نوفمبر 2013،m.facebook.com

[19]- باسلامة فاروق صالح، بين الأدب والفكر الجزيرة الثقافية،www.al-jazirah.com

[20]- م ن.، الموقع نفسه.

[21]- حوحوأحمد، حمار الحكيم، ص 23.

[22]- م ن، ص23.

[23]- علي حسن عمار،ا لأدب والسياسة .. علاقة خاصة جدا، يوم 3 يناير 2014، من الموقع الإلكتروني: www.alittihad.ae

[24]- أحمد رضا حوحو مع حمار الحكيم 55.

[25]- م ن، ص 55.

[26]- منور أحمد،1981، قراءات في القصة الجزائرية مكتبة الشعب، الجزائر، ص 36.

[27]- حوحو أحمد رضا،2001، نماذج بشرية ضمن الأعمال الكاملة، ط1، منشورات الاختلاف، ص 210.

[28]- أحمد رضا حوحو نماذج بشرية ضمن الأعمال الكاملة ص 203،201.

المراجع

مرتاض عبد الله، دسيمبر1998، في نظرية الرواية، عالم المعرفة، عدد 240.

روابنية الطاهر، 1999، القراءة الموضوعاتية للنص الأدبي، مجلة التبين، العدد 14، ص 74 – 75.

هنري جيمس وآخرون،1971، نظرية الرواية في الأدب الإنجليزي الحديث، ترجمة وتقديم أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر.

حوحو أحمد رضا، 2007، غادة أم القرى، الأنيس السلسلة الأدبية، وزارة الثقافة، الجزائر العاصمة.

ميلان كونديرا،2006، الستارة، ترجمة: معن عاقل، ط1، وردة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

العدواني معجب، 2002، تشكيل المكان وظلال العتبات، ط1، النادي الأدبي الثقافي، جدة السعودية.

دلال عبد الرزاق،2000، مدخل إلى عتبات النص، دراسة في مقدمات النقد العربي القديم د ط، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

بلانشيهفليب،2007، التداولية من أوستين إلى غو فمان، ترجمة صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا اللاذقية.

حوحو أحمد رضا، غادة أم القرى، الإهداء.

حمداوي جميل، عتبة الإهداء السبت 15 أيول سبتمبر 2012،www.diwanalarab.com

إجريلاجوس،دت، فنّ الكتابة المسرحية، ترجمة دريني خشبة، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة.

حوحوأحمد رضا، 1982، حمار الحكيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.

مورجان تشارلس، 1964، الكاتب وعالمه، ترجمة: د شكري محمد عياد، دار المعارف القاهرة.

أبو رحمة أماني، التحليل النفسي والأدب والثقافة: مقاربة منهجية ،9 نوفمبر 2013، m.facebook.com

باسلامة فاروق صالح، بين الأدب والفكر الجزيرة الثقافية،www.al-jazirah.com

علي حسن عمار،ا لأدب والسياسة .. علاقة خاصة جدا، يوم 3 يناير 2014، من الموقع الإلكتروني: www.alittihad.ae

منور أحمد،1981، قراءات في القصة الجزائرية مكتبة الشعب، الجزائر.

لنقتبس من المؤلف:

بومعزة، ا/ د/ نوال، «قضايا السرد وأبعاده في الأعمال الأدبية للكاتب أحمد رضا حوحو المقال» ، المجلد 06، عدد خاص ص320-332،https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/48